الفصل الثاني

الإســـلام والـــروح

الماديون والروح

الروح كما بينا نفخة من روح الله تحتاج لمعرفته تعالى وعبادته العبادة الصحيحة، وإذا لم تُشْبع حاجتها أتعست صاحبها مهما كان حظه من نعيم الدنيا ، فنعيم الدنيا قد يسد جوع جسد الإنسان نعم ، لكنه أبداً لن يسد جوع روحه فلا غرو أن تجد أولئك الذين أهملوا غذاء أرواحهم تائهين لا يعلمون من هم ؟ ومن الذي أتى بهم في هـــذا العالم ؟ وما هدفهم في هذه الحياة ؟ وماذا بعد الموت ؟

هل هم أبناء هذه الأرض وتطوروا " من خلية كانت في مستنقع آسن قبل ملايـــين السنين . وقد تطورت هذه الخلية ومرت بمراحل منها ، مرحلـــة القـــرد ، انتهـــاء بالإنسان " كما زعم دارون ؟!

وهل " أن المادة أزلية أبدية وهى الخالق والمخلوق في نفس الوقت ؟!

وهل لم يعد هناك جدوى من البحث في الغاية والهدف من وجـــود الإنـــسان لأن داروين قد جعل بين الإنسان والقرد نسباً ، وأن ماركس جعل مطلب الإنـــسان فـــي الحياة ينحصر في الحصول على (الغذاء والسكن والجنس) مهملاً بـــذلك جميـــع العوامل الروحية لديه ؟! " [1]

وهل تحققت لهم السعادة عندما أهملوا الروح وحشوا عقولهم بأفكـــار الملحـــدين أتباع العلمانية و الشيوعية والوجودية والداروينية القائلة بـــأن " الإنـــسان كـــالكون والحيوان والنبات وجد صدفة وسينتهي كما بدأ ولا توجد حياة بعد الموت " ؟!

---

(١) موقع الخيمة العربية على الإنترنت بتصرف .

والحقيقة أنهم رغم الترف المادي الذي يعيشون فيه لم يحسوا للسعادة طعماً ؛ فأغرقوا أنفسهم في مستنقع الخمور والفجور واستولى عليهم اليأس والقنوط وكان الانتحار هو النتيجة الحتمية لهذه الحياة التعسة " إن (٤٠) ألف مراهق فرنسي يحاولون الانتحار سنوياً ، وإن (٨٠٠) نفر من هؤلاء لاقوا حتفهم لحظة الانتحار، و إن (١٨٥٢٦) حالة انتحار في أميركا في العام الواحد ، وأوضحت نتائج الدراسة التي أجراها فريق أطباء في السويد أن الكحول يكون السبب في نسبة ٤٤ % من الوفيات وتشمل الوفيات التي تسببها الخمور عمليات الانتحار والسقوط من أماكن مرتفعة وخلص الأطباء إلى هذه النتائج إثر إجرائهم دراسات على وفيات وقعت في السويد طوال خمس سنوات . " (١)

وكان طبيعيّاً أن يلوذ بعض هؤلاء البائسين بالإسلام لينقذهم مما جنى عليهم الخواء الروحي .

إن الإسلام ينتشر على مستوى المفكرين والمثقفين في الغرب أكثر من انتشاره على مستوى العامة ، وينتشر على مستوى العامة في الغرب كلما ازداد الاختلاط والتقارب مع المسلمين فإن الغرب يجد ارتباطاً روحياً متمثلاً في البعد عن الخمر والإباحية والانتحار عند الاختلاط بالمسلمين كما يجد في دينهم منطقاً فطريّاً خالياً من التعقيد وتسلط الرهبان على الشئون الداخلية. وكنت ألاحظ أن المرأة في أوروبا تشعر بغيرة شديدة من المرأة المسلمة المحجبة وتحسدها على استقرارها العائلي والنفسي بل على الجمال الذي يضفيه عليها الحجاب نفسه ، وأعتقد أن هذه الغيرة النفسية العميقة هي أول العوامل في انتشار الحجاب بين الفنانات عندنا. أما انتشار الإسلام بين المثقفين والمفكرين في الغرب فإنه أوسع وأهم وسيزداد مع ازدياد الاستشراق وازدياد مراكز دراسة الإسلام في الجامعات الغربية ونحن نشاهد الآن مؤتمرات وندوات عن الإسلام تعقد في الغرب " (٢)

برغم الحملات الإعلامية المغرضة في جميع وسائل الإعلام الغربية والأمريكية ضد المسلمين والإسلام ، إلا أن عدد الذين يعتنقون الإسلام يزداد بصورة ملحوظة فكل يوم تتوالى أخبار الداخلين في دين الله أفواجاً في الغرب. فهذا وكيل وزارة

---

(١) عن موقع وكالة الأنباء العالمية B B C على الإنترنت بتصرف .

(٢) د. صلاح عز رئيس اتحاد الطلاب المسلمين في بريطانيا سابقاً عن موقع الشبكة الإسلامية .

العدل الفنزويلى يعتنق الإسلام وهناك خمسة آلاف سويدي يعتنقون الإسلام حديثاً كما أكد ذلك تقرير أعده اتحاد المسلمين في السويد وأودع أخيراً مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة ، وبلغ عدد الذين اعتنقوا الإسلام في أسبانيا خلال السنوات الأخيرة أكثر من عشرين ألف شخص .. واللافت للنظر أن معظم المقبلين على الإسلام من المثقفين والعلماء الذين يعتنقون بعد بحث كبير بل إن هناك مئات الدارسين الغربيين المنصفين الذين أصدروا كتباً تؤكد سمو الإسلام ورسالته على جميع الأديان. فهناك جارودي ومحمد أسد ومريم جميلة وغيرهم الكثيرون .

فالأزمات المزمنة التي يعيشها الغرب الآن والأمراض الفتاكة مثل الإيدز الناجمة عن الإباحية وكذا جرائم العنف وحوادث الانتحار الجماعي والتفسخ الأسرى والخواء العقائدي تدفع بالكثيرين إلى البحث عن الحق وهو دين الإسلام .

إن الغرب اليوم يعيش في ظاهرة تمثل صحوة إسلامية رغم الحملات العارمة ضد الإسلام فإقبال النساء على الإسلام وارتداء الحجاب وانتشار المساجد والمراكز الإسلامية في أنحاء أوروبا يؤكد قوله تعالى: { هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } (الصف : ٩) [١]

العَلْمانِيَّة : لغة ، واصطلاحاً

العَلْمانِيَّة في العربية مشتقة من الكلمة (عَلْم) ، وهو مرادف لكلمة (عالَم)، ولا علاقة له بالعِلْم (بكسر العين) كما يتوهم الكثيرون ، ولما لم يكن في العربية (عَلْم) بمعنى العالمَ، فإنهم قالوا أولاً : (عالَماني) .. ثم أسقطوا ألف المد الأولى من لفظ (عالَماني) وسكَّنوا لامه ليصبح (عَلْماني) .

أما في الإنجليزية والفرنسية فهي مشتقة من اليونانية بمعنى "العامة" أو "الشعب" وبشكل أدق عكس الإكليروس أو الطبقة الدينية الحاكمة؛ وإبان عصر النهضة بات المصطلح يشير إلى القضايا التي تهم العامة أو الشعب بعكس القضايا التي تهم خاصته . [٢]

---

(١) نفسه .

(٢) لمزيد من التفاصيل عن العلمانية راجع د. عبد الرحمن السليمان" تفكيك مصطلح العلمانية " موقع الجمعية الدولية لمترجمي العربية .

العَلْمانِيَّة تعني اصطلاحاً فصل الأنشطة البشرية والقرارات وخصوصًا السياسية عن المؤسسات الدينية .

تعرِّف دائرة المعارف البريطانية العَلْمانِيَّة بأنها : " حركة اجتماعية تتجه نحو الاهتمام بالشئون الأرضية بدلاً من الاهتمام بالشئون الأخروية . وهي تعتبر جزءًا من النزعة الإنسانية التي سادت منذ عصر النهضة الداعية لإعلاء شأن الإنسان والأمور المرتبطة به بدلاً من إفراط الاهتمام بالعزوف عن شئون الحياة والتأمل في الله واليوم الأخير .

وقد كانت الإنجازات الثقافية البشرية المختلفة في عصر النهضة أحد أبرز منطلقاتها، فبدلاً من تحقيق غايات الإنسان من سعادة ورفاهية في الحياة الآخرة، سعت العَلْمانِيَّة في أحد جوانبها إلى تحقيق ذلك في الحياة الحالية ." (١)

نشأة العَلْمانِيَّة في أوربا

إن المنهج العلماني الذي انتهجته أوربا في إبان نهضتها لتتخلص من طغيان الكنيسة الكاثوليكية ومن سلطات البابا الذي كان له " سلطة دينية خاصة فهو يُوحى إليه ، من قِبَل الشيطان ، وله الأمر كله ، وهو يغفر السيئات ، ولا يملك أحد عزله، ويقضي بالحرمان حتى على الملوك .. وفي الوقت الذي لم يعد البابا تابعاً لأي من الملوك أصبحوا جميعاً بحكم أنهم مسيحيون تابعين للبابا وخاضعين له ، ثم خطا البابوات خطوة أخرى فأصدروا صكوك الغفران عندما أحسوا بالحاجة للمال لتحقيق أطماعهم وملذاتهم ، واهتمت الكنيسة بالخوارق تبعا لمعجزات السيد المسيح، وحاربت العلم بناء على ذلك ، وتبعاً لهذا الاتجاه أعدمت الكنيسة حرقاً مايكل سرفتوس (١٥١٨ – ١٥٥٢) لأنه اكتشف الدورة الدموية الصغرى مع أن العالم الدمشقي ابن النفيس (١٢٨٨) اكتشفها قبله بأكثر من قرنين .. وحرقت الكنيسة كتب العلوم ، وساد ظلام كثيف عالم المسيحية وثار المثقفون الغربيون على الكنيسة، وبالتالي ظهر المصلحون ، وظهر البروتستانت ، وضعف صوت الكنيسة، واعتبرت أوربا سقوط سلطان الكنيسة واختفاء الدين تنويراً !! " (٢)

---

(١) www.britannica.com

(٢) د. أحمد شلبي " صراع الحضارات " ص ٦٢ – ٦٤ بتصرف .

إن هذا المنهج العَلْمانِيَّ الذي كان له دوافعه ، آنذاك ، هو الذي حدا بأوربا إلى تنحية الدين عن مجالات الحياة : سياسية ، اقتصادية ، اجتماعية ، علمية ، فكرية .

مما انحرف بالنهضة الأوربية عن طريق الحضارة الحقيقي الذي يقوم على المزاوجة بين العلم والدين . فعلى أساس دين الله الصحيح ، وعلومه المقدسة قامت الحضارات الكبرى : المصرية القديمة ، واليونانية ، والإسلامية .

يقول حافظ إبراهيم :

وَالعِلمُ إِن لَم تَكتَنِفهُ شَمائِلٌ تُعليهِ كانَ مَطِيَّةَ الإِخفاقِ
لا تَحسَبَنَّ العِلمَ يَنفَعُ وَحدَهُ ما لَم يُتَوَّج رَبُّهُ بِخَلاقِ
كَم عالِمٍ مَدَّ العُلومَ حَبائِلاً لِوَقيعَةٍ وَقَطيعَةٍ وَفِراقِ
وَطَبيبِ قَومٍ قَد أَحَلَّ لِطِبِّهِ ما لا تُحِلُّ شَريعَةُ الخَلّاقِ
قَتَلَ الأَجِنَّةَ في البُطونِ وَتارَةً جَمَعَ الدَوانِقَ مِن دَمٍ مُهراقِ

ويجني الغرب ، وكذلك بقية العالم ، نتيجة تخليه عن شريعة الله : حروب ، وتلوث ، وأمراض ، وانتكاس خلقي ..

مقومات الحضارة والرقى

وحتى لا نخدع أنفسنا ونظن أنفسنا ، نحن المسلمين ، أننا أفضل من الغرب المسيحي واليهودي بما حبانا الله تعالى به من نعمة الإسلام التي لا فضل لنا فيها إلا جحودها جحود عمل وتطبيق لا جحود اعتقاد وتصديق على أحسن تقدير . يجب أن نعرف أن الله أوجب على الإنسان تعمير الكون كما أوجب عليه تزكية نفسه وعبادته جل وعلا ، وأن الغرب قد أخذ في أسباب العلم في تعمير الكون والاستفادة منه فأعطاه الله نصيبه في الدنيا من تقدم مادي وعلمي وظهور على سائر الأمم المتخلفة التي لم تأخذ في أسباب العلم والحضارة لكن لا نصيب لهؤلاء في الآخرة ؛ لأن أكثرهم لم يقوموا بمهمة الإنسان الأولى وهى عبادة الله وطاعته ، أما المسلمون فأكثرهم تظاهروا بعبادة الله – شكلاً – بأداء بعض العبادات كالصوم والصلاة دون أن تثمر فيهم هذه العبادات حسن الخلق ولا حسن العمل ، فصلُّوا لكن صلاتهم لم تنههم عن الفحشاء والمنكر فلم تزدهم صلاتهم من الله إلا بعداً ،

وصاموا عن الطعام والشراب وأفطروا على المعاصي والآثام فلم يكن حظهم من صومهم إلا الجوع ، وأهملوا- أو كادوا- مهمة الإنسان الثانية في هذه الحياة وهى تعمير الكون فتخلفوا حضاريّاً ، فإذا كان أكثر الغربيين قد أهملوا دين الله الحق فشقوا في الدنيا ولم يعرفوا للسعادة ولا الطمأنينة طعماً وليس لهم في الآخرة من نصيب فقد أهمل أكثر المسلمين الدنيا فتخلفنا في الدنيا ولم نعرف للتقدم ولا للرقى طريقاً وليس لأكثرنا في الدنيا ولا في الآخرة من نصيب – إلا من رحم ربى – لأنه لا يدخل الجنة إلا من آمن بالله تعالى الواحد الأحد وزكى نفسه من آفاتها وعمل الصالحات ومن الأعمال الصالحات تعمير الكون .

تأمل معي هذه الآيات المباركات .

{ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا كُلاًّ نُمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً }

(الإسراء : ١٨-٢١)

والآيات شديدة الوضوح فمن يعمل للدنيا فقط يعطيه الله تعالى الدنيا ويصليه في الآخرة جهنم ، ومن يريد الآخرة لابد له من أمور ثلاثة : إيمان خالص بالله تعالى لا يشوبه شرك ولا رياء ولا سمعه ، وتخلي النفس عن الأخلاق السيئة وتحليها بالأخلاق الحسنة ، وسعى في الأرض لإصلاحها وإقرار العدل والرحمة فيها ، وإعمار الأرض ونشر قيم الحق والخير والجمال فيها من الأعمال الصالحة التي " لا تقتصر على الشعائر التعبدية المعروفة من صلاة وزكاة وصيام وحج ، بل تشمل كل حركة وكل عمل ترتقى به الحياة ويسعد به الناس .. وكل عمل نافع يقوم به المسلم ، لخدمة المجتمع ، أو مساعدة أفراده .. " [١] .

يقول الله تعالى في سورة الشورى :

{ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ } (الشورى : ٢٠)

ويقول تعالى { هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا } (هود : ٦١)

---

(١) د. يوسف القرضاوي " الخصائص العامة للإسلام " ص١٠٥ ، ١٠٦ بتصرف .

أي خلقكم من تراب هذه الأرض وأمركم بتعميرها فدخول الألف والسين والتاء على الفعل تدل على طلب القيام بالفعل كما يقول علماء اللغة فـ " استسقى " فلانا : أي طلب منه السقي ، و" استطعمه " أي : طلب منه أن يطعمه ، و" استعمره " في الأرض : أي طلب منه تعميرها وإصلاحها .

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " واحرث لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً " .

ويضرب الله تعالى المثل بذي القرنين ذالك القائد المؤمن ، وقيل أنه نبي ، الذي جمع بين الصلاح والإصلاح ، يذكر الله تعالى لنا قصته لتكون مثالاً لكل من يريد ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة يقول تعالى :

{ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا) (الكهف : ٨٣- ٨٥)

يبين الله تعالى بجلاء ووضوح لا يقبلان الشك ولا الجدال سر قوة وتمكين ذي القرنين في الأرض وهو أخذه في أسباب العلم والحضارة والتقدم والرقى .

{وآتيناه من كل شيء سببا}، قال ابن عباس: يعنى علماً .

لقد أعطى الله تعالى ذا القرنين العلم فأخذ في أسبابه وأخذ العلم عن علماء كل بلد فتحها بعد أن تعلم لغاتهم " كان لا يعرف قوماً إلا كلمهم بلسانهم " [١] وبالعلم والإيمان ملك ذو القرنين الأرض .

سئل النبي عن ذي القرنين فقال: (ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب)[٢] .

ويؤكد القرآن أخذ ذي القرنين بأسباب العلم ثلاث مرات { فَأَتْبَعَ سَبَبًا } (الكهف: ٨٥) { ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا } (الكهف : ٨٩) { ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا } (الكهف : ٩٢) .

إذن التمكين في الأرض لا يكون إلا بالأخذ في أسباب العلم الكوني : فيزياء وكيمياء وفلك ورياضيات وهندسة وراثية وعلوم تكنولوجية و .. وفي أسباب

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن زيد رضي الله عنه في قوله: {وآتيناه من كل شيء سببا}.
(٢) هذا الحديث ذكره القرطبي في تفسيره وكذلك السيوطي عن ابن عبد الحكم في فتوح مصر وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة، عن خالد بن معدان الكلاعي) .

الحضارة من : نظام وتعاون وإخلاص ونظافة .. فإذا أراد الإنسان الجمع بين سعادة الدارين فعليه أن يضيف إلى إصلاح الدنيا صحة الإيمان بالله بل عليه أولاً أن يؤمن بالله تعالى ويؤدى ما فترضه عليه وينتهي عما نهاه عنه ثم يقرن هذا الإيمان بالعمل الصالح في الدنيا فإن فعل ذلك فقد استحق وعد الله بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين له وإبداله من بعد خوفه أمناً .

{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }
(النور : ٥٥)

وفي سورة الروم يضرب لنا الله تعالى المثل بالأمم القوية الأشداء أهلها الذين استطاعوا أن يثيروا الأرض ويعمروها لكنهم كفروا بما جاءتهم به رسولهم من الهدى ودين الحق فأعطاهم الله نصيبهم في الدنيا : القوة والمنعة والعلو وكافأهم بسعيهم في الدنيا فلاحاً وما كان الله ليظلمهم في الدنيا لكنهم ظلموا أنفسهم في الآخرة بترك عبادة الله .

والأمثلة في التاريخ كثيرة فالحضارة اليونانية والرومانية والفارسية والأوربية الحديثة والأمريكية المعاصرة رغم عدم إيمان أكثرهم إلا أن الله مكن لهم في الدنيا ما داموا مصلحين للدنيا فإن تفش فيهم الفساد والظلم دمر الله عليهم .

{ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ منْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ ممَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (الروم : ٩)

ويقول تعالى في سورة هود أنه سبحانه لن يعاقب الكفار المصلحين في الدنيا بكفرهم بل سيعطيهم أجرهم فيها بقدر إصلاحهم لها ، أما الآخرة فالنار مثوى الكافرين ، أما الأمم التي عاقبها الله تعالى في الدنيا فكان بسبب الإفساد في الأرض لا بسبب الشرك وحده .

{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا من قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو

عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاَقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ }
(القصص : ٥٨-٦١)

{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } (هود : ١١٧)

قوله تعالى: "وما كان ربك ليهلك القرى" أي أهل القرى . "بظلم" أي بشرك وكفر. "وأهلها مصلحون" أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق؛ أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وقوم لوط باللواط ؛ ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب. وفي صحيح الترمذي من حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده" (١)

فالظلم والطغيان والإفساد في الأرض هو سبب هلاك الأمم وليس الكفر وحده والتاريخ يشهد بذلك فأهل الغرب أكثرهم كافرون بالله تعالى لكنهم في الدنيا مصلحون أو على الأقل أفضل من المسلمين في إصلاح الدنيا وتعميرها فلم يهلكهم الله تعالى في الدنيا إنما أهلكنا نحن بهم بسبب ظلم أكثرنا وعدم إصلاحهم في الدنيا

يقول د. حسين مؤنس أحد مؤرخي العرب المحدثين: " إن الحضارة علم وتعاون وفهم ونحن لن نتحرك خطوة إلى الأمام إلا إذا كانت لدينا هذه الأربعة والعلم ليس شهادة بل معرفة وثيقة ومؤكدة .. مئات الشهادات عندنا خسائر قومية لأنها لا تساوى الورق الذي طبعت عليه والواحدة منهن ، أي من الأجنبيات الغربيات ، إذا جلست للعمل انصرفت إليه بقلبها وعقلها وإحساسها جميعا لأنها تريد أن تعمل أحسن ما يستطيع البشر وأقل من هذا لا يرضيها لأنها متحضرة وهى تتعاون مع زميلاتها خطوة خطوة لأن الحضارة تعاون والإنسان الفرد لا يمثل حضارة ولا ينهض بحضارة ، ومصيبة تاريخنا أننا لا نعرف التعاون .. ولو أن الناس عندنا لديهم أدنى إدراك لمعنى العمل المشترك لما كان الأتوبيس عندنا على هذه الصورة المزرية . سألني سائل : ماذا يخسر أولئك الناس لو وقفوا طابورا و تركوا

(١) تفسير القرطبي ج ٩ ص ١١٤ .

الخـــارج يخرج ثم دخلوا بالدور بنظـــام وقيمة ؟ قلت : هـــؤلاء يا أخي ناس غير متحضرين ، إنهم همج ، وإخواننا هؤلاء هم أبناء عمومة الآخرين الـــذين يربـــون البلهارســـيا في أجسادهم ، وهم أخوة العمـــال الذين أنتجوا ما يقدر بستة بلايين من الجنيهات بضائع لا يشتريها أحد لأنها لا تصلح للاستعمال والذين أنتجوها يعملـــون دائما دون تركيز ودون التفات ودون اكتراث إنهم غير متحضرين إنهـــم همـــج .. صدقني .. همج ! .. مثل هذا المستوى البدائي الذي نعيش فيه لا يمكـــن أن نـــصل إلى مستوى العلم والإنتاج الذي حدثتك عنه – يقصد الإنتاج الغربي – لأن هذا كله ثمرة العمل الجماعي ، وأنا عشت في أوساط العلم في أوروبا وأمريكـــا وأعـــرف كيف يتعاملون ، لا أحد يعمل منفرداً أبداً وكما أن السيارة التي حدثتك عنهـــا هـــي ثمرة عمل ألف يد وألف عين فكذلك كل قطعة فيها فإن العلم لا يـــزرع ولا يوجـــد على الأرض ولا يستخرج من البحار كاللؤلؤ إنما هو ثمرة العمل الجمـــاعي وقـــد وصل العلم في عصرنا إلى مستويات أشك معها في أن نستطيع اللحاق بهم فيها إلا إذا تغير فينا كل شيء فنحن بدائيون أنانيون ، ونحن مازلنا نهـــيم علـــى وجوهنـــا ضائعين في مجتمعنا هذا الذي هو في الحقيقة غابة . يقول لك الجامعيون لقد أعددنا مكانا لكل حاصل على الثانوية العامة ، وماذا سيفعل الطالب في هـــذا المكـــان ؟ لا شيء . إن أستاذه نفسه بعيد جداً عن فكرة العلم في عصرنا ، والمسالة كلها خطف، الطالب يخطف ، والأستاذ يخطف ، وقرود الغابة مطلقة على وجهها " [1]

ولو أن الغرب المتحضر وصله الإسلام بشكل صحيح ، وأن المسلمين لم يكونـــوا صورة شائهة له ، وكف إعلامه عن تشويهه لدخل الغرب المتحضر فـــي ديـــن الله أفواجا ، ولتخلى عن كل المعتقدات التي يدين بها سواء أكانت سماوية محرفـــة أو دنيوية مؤلفة .

يسر العقيدة الإسلامية

عقيدة الإسلام تجيب عن كل ما يحير الإنسان في يسر ووضـــوح تجيـــب عـــن الأسئلة التي حيرت عقول البشر دون أن يهتدوا فيها لشيء .

من أنا ؟ ومن الذي أتى بي إلى هذا العالم ؟ وما هدفي في هذه الحيـــاة ؟ ومـــاذا بعد الموت ؟

---

(١) د. حسين مؤنس " المصريون والحضارة " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٤٨– ١٥٠ .

فالمسلم يؤمن بأنه خلْق من مخلوقات الله .

{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ من سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً في قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } (المؤمنون : ١٢- ١٤)

بل جعل الله تعال الإنسان أفضل مخلوقاته وسخر له ما في الأرض جميعاً .

{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ في الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً } (الإسراء : ٧٠)

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا في الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي في الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } (الحج : ٦٥)

ولقد خلق الله تعالى الإنسان ، آدم ، بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة .

{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ } (الحجر : ٢٨- ٢٩)

ولقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم .

{ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } (التين : ٤)

وإن هذا الإله العظيم هو رب العالمين { وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ } (الشعراء : ٢٣ – ٢٤)

{ الذي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ }
(الشعراء : ٧٨-٨٢)

وأقام الله تعالى الحجة على من عبد غيره ممن لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً ، واتهمهم بالغباء والجهل والعمى لأنهم عبدوا من لا حول له ولا قوة وتركوا خالق كل شيء والقاهر فوق عباده .

{ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي

الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } (الرعد : ١٦)

ويدعو الله تعالى الناس إلى إمعان النظر في بديع خلقه في السموات والأرض ثم يسأل كل واحد منهم نفسه من أين جاءت هذه المخلوقات البديعة التي لا يحصيها عدد ولا يحيط بها علم ؟

{ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ } (الطور : ٣٥ ، ٣٦)

كما يلفتهم الذكر الحكيم إلى حقائق في الكون لم يعرف بعضها العلم إلا من سنوات قلائل كأهمية الجبال لحفظ توازن للأرض ، وكاتساع السماء اتساعاً لا حدود له ، وكخلق كل شيء زوجين (ذكر وأنثى ، وسالب وموجب)

{ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ }
(لقمان : ١٠ – ١١)

{ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (الذاريات : ٤٧ – ٤٩)

ولا يملك لمن يستمع لهذه الآيات إلا أن يخشع قلبه ، وأن يقشعر جلده ، وأن يسلم عقله لله الواحد الأحد .

" قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (النمل : ٥٩ – ٦٣)

أبعد هذه الآيات البينات يحتاج الإنسان إلى دليل على وجود الخالق العظيم ؟!

أبعد هذه الشموس المتوهجة يمكن أن يبقى شيئاً من ظلام الشك ؟!

أبعد هذا البراهين الساطعة يمكن أن يجادل عاقل ؟!

إن أي إنسان أوتى شيئاً من إحساس ، أو درهما من عقل ، أو شعاعاً من بصيرة لردد صباح مساء " اللَّهُمَّ إِنِّى أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلاَئِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ الله لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ. " (حديث حسن رواه أبو داود والترمذي)

أما هدف الإنسان في الحياة فهو عبادة الله .

{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } (الذاريات : ٥٦ – ٥٨)

وعبادة الله تعالى الصحيحة لا بد أن تثمر حسن خلق وتزكية نفس .

{ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } (الشمس : ٧–١٠)

كما أن الله أمر الإنسان إلى جانب عبادته تعالى وتزكيته نفسه أن يعمِّر الأرض .

{ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ } (هود : ٦١)

أما مصير الإنسان بعد الموت فيحدده الله تعالى بقوله :

{ فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } (النازعات : ٣٧ – ٤١)

{ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ } (الانفطار : ١٣ – ١٩)

أرأيت أوضح أو أيسر من هذه العقيدة .

ثمار الإيمان بالله تعالى

١- سعة النظر :

إن أولى خصائص الإيمان بالله ومزاياه البارزة أنه يوسع وجهة نظر الإنسان على قدر سعة مملكة الله غير المحدودة ألا ترى أن الإنسان ما دام لا ينظر إلى الدنيا إلا على اعتبار علاقة نفسه فإنما يكون نظره محدودا بالدائرة الضيقة التي تكون محدودة بها قوته وعلمه ومطالب نفسه فهو لا يبحث عن قاض لحاجاته إلا في هذه الدائرة ولا يخشى إلا الأقوياء في هذه الدائرة لا يتكبر إلا على الضعفاء في هذه الدائرة ولا تكون صداقته ولا عداوته ولا محبته ولا بغضاؤه ولا تعظيمه ولا تحقيره إلا محدودا بهذه الدائرة كأن نفسه هى المنظار الذي ينظر به إلى كل شيء في هذا العالم ، ولكنه إذا آمن بالله يخرج نظره من هذه الدائرة الضيقة ويسع الكون كله وهو عندئذ لا ينظر إلى الكون على اعتبار علاقة نفسه وإنما ينظر إليه باعتبار علاقته بالله وهناك تقوم علاقة جديدة بينه وبين سائر الموجودات في هذا الكون فلا يرى فيه شيئا يستحق أن يقضى له حاجاته أو يجلب له نوعا من الضرر أو النفع أو يستحق التعظيم أو الازدراء أو الخوف أو الرجاء وعندئذ لا تكون صداقته ولا عداوته ولا محبته ولا بغضاؤه لنفسه وإنما تكون لله وحده فهو خالق السموات والأرض ورب العالمين ، وأن ليس هو وحده الذي يعبده ويطأطئ له رأسه بالطاعة وإنما كل شيء في السموات والأرض طوعا أو كرها { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } (الإسراء : ٤٤) فالمؤمن بالله لا يكون ضيق النظر محدود الفكر أبداً وما اصطلاح " الدولية " إلا ضيق محدود بالنسبة لسعة نظره وهو جدير بأن يدعى " كونيّاً " .

٢- الأنفة وعزة النفس

والإيمان يرفع الإنسان من حضيض الذل والهوان إلى أرفع ما يكون من منازل الأنفة وعزة النفس كأن من لم يعرف ربه يطأطئ رأسه لكل شيء في الدنيا إذا رأى فيه نوعا من العظمة والكبرياء أو القدرة على نفعه أو ضره فكان – على هذا – يخافه ويمد إليه يده بالاستعانة والاستجداء ويعلق به آماله وأمانيه ولكنه لما

عرف الله ربه عَلِمَ عِلْم اليقين أن الذين كان يمد إليهم يده ويستعين بهم في قضاء حاجاته لا يقلون عنه حاجة إلى معونة ربهم { يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ } (الإسراء : ٥٧) وأن الذين كان يدعوهم ويعكف على عبادتهم إنما هم عباد أمثاله {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ } (الأعراف : ١٩٤) وإن الذين كان يرجو منهم المعونة والمساعدة ، عاجزون عن نصرة أنفسهم فضلا عن أن ينصروه ويجلبوا إليه النفع أو يدفعوا عنه الضرر { وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلآ أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ } (الأعراف : ١٩٧) فالإنسان عندما يحصل له هذا العلم يستغنى عن كل قوة من قوى العالم ولا يعود يخافها وعندئذ لا يطأطئ رأسه أمام أحد غير الله .

٣- التذلل والتواضع

وليست هذه الأنفة التي تنشأ في الإنسان لإيمانه بالله كالأنفة الزائفة التي تنشأ فيه لغطرسته بالقوة والجبروت أو الجاه والمال أو الخبرة والكفاءة وإنما لا تكون الأنفة إلا مقترنة بالتواضع ولا تكون فيه عزة النفس إلا متصلة بالتذلل والخضوع لله . يعلم أنه أعجز ما يكون أمام قوة الله تعالى { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } (الأنعام : ١٨) وانه هو والعالم كله فقير إلى الله تعالى محتاج إلى مغفرته ورحمته وأن الله تعالى غنى عن كل من سواه { وَاللَّهُ الْغَنِي وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء } (محمد : ٣٨) و أن ليس كل نعمة يتمتع بها في هذه الدنيا إلا من عند الله تعالى {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ} (النحل : ٥٣) أنى لعاطفة الاستكبار والخيلاء والغطرسة والشموخ أن تجد سبيلا إلى نفس الإنسان إذا استقرت في ذهنه عقيدة الإيمان بالله على هذا النحو .

٤- طمأنينة القلب

فالإيمان بالله يربى الإنسان على كيفية نفسيه قائمة على الثقة والرجائية لا تخذله بحال ولا تدعه ليتغلب عليه اليأس والقنوط إذ الإيمان كنز من الآمال الصادقة لا ينفد ولا يزال يزود الإنسان برصيد غير منقطع من قوة القلب وطمأنينة الروح ويلقى في روعه أنه لو طرد من كل باب من أبواب الدنيا وتقطعت به الأسباب الظاهرة وفارقته الوسائل المادية كلها فإن الله تعالى غير خاذله أبدا { وَإِذَا سَأَلَكَ

عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } (البقرة : ١٨٦)

فالمؤمن ليس له بحال أن ييأس من رحمة الله ويقطع الأمل في عفوه بل يتوب إليه ويستغفره كلما زلت قدمه فيجد الله تعالى غفورا رحيما { وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا } (النساء : ١١٠)

٥- الصبر والتوكل :

إن الثقة بالله والرجاء في عفوه وكرمه تترقى في نفس المؤمن حتى تبلغ به أعلى مدارج الصبر والاستقامة والتوكل على الله حيث يصبح عزمه مماثلا للحجر في صلابته واستحكامه ولا تستطيع كل مصائب الدنيا وآلامها ومضارها وخسائرها وقواها المعادية أن تزل قدمه قيد شعرة عما يكون قد عقد عليه عزيمته { إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ } (آل عمران : ١٦٠) فالمؤمن يعتقد اعتقادا جازما بأنه لا يصيبه شيء في هذه الدنيا إلا بعلم الله وإذنه قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (التوبة : ٥١)

٦- الشجاعة والجرأة :

إن الإيمان بالله ينشّئ في الإنسان صفة خلقية عظيمة هي صفة الجرأة والإقدام والبسالة والشجاعة . إنما هناك أمران يجلبان الهلع والجبن إلى قلب الإنسان : حبه لنفسه وأولاده ، و أمواله . والإيمان يطهر نفسه من هذا الخوف فليست القدرة الحقيقة على نفعه أو ضره أو إهلاكه بيد إنسان أو حيوان أو مدفع أو سيف إنما بيد الله العزيز الحكيم فلو أن قوى العالم اجتمعت على أن تجلب إليه الضرر أو تدفعه عنه فإنها لا تقدر على ذلك إلا بإذن الله { وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ} (البقرة : ٢١٠) ولقد لقن القرآن الكريم المؤمن أن الموت له ساعة محددة لا يستطيع أحد أن يستقدمها أو يستأخرها { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُّؤَجَّلاً } (آل عمران : ١٤٥) والمؤمنون تمتلئ قلوبهم جرأة وإقداما عندما يرون جنود الأعداء لأنهم لا يتوكلون على قوة دنيوية أو وسائل مادية وإنما يتوكلون على الله ويرجون منه النصر والتأييد { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } (آل عمران: ١٧٣)

٧- القناعة والاستغناء

ثم إن الإيمان بالله يزكى نفس الإنسان ويطهرها من الحرص والطمع والجشع والحسد والحقد والبغضاء وما إليها من العواطف الرذيلة والنزعات الركيكة . وذلك أن الإيمان يعمر قلب الإنسان قناعة واستغناء ويجعله لا يتنافس ويتحاسد ولا يتباغض مع غيره ولا يتيه على وجهه في مجاهل الظلم والعدوان وإنما يبذل سعيه للبحث عن فضل ربه مترفعا عن الرذائل مقتنعا بما كتب له قليلا كان أو كثيرا والقرآن قد لقن المؤمن { قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (آل عمران : ٧٣)

وقد علمه أن الرزق بيد الله وحده { اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقْدِرُ } (الرعد : ٢٦)

٨- صلاح الأخلاق وتنظيم الأعمال

الإيمان هو العامل الوحيد الذي ينزل بقواه الإصلاحية قويا يتولى دائما مهمة إرشاد الإنسان إلى طريق التقوى والطاعة والانقياد في السر و العلانية . إن الإيمان بعلم الله وقدرته هو الذي يرجع على الإنسان بهذه الفائدة العظيمة و القرآن الكريم نبه الإنسان في غير موضع من آياته على أن علم الله واسع لكل شيء وأنه لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء { إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء } (آل عمران : ٥) { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } (ق : ١٦)

ولقد ألقى القرآن في روع الإنسان أنه لا بد له من الحضور بين يدي ربه {وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ } (البقرة : ٢٢٣)

{ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } (البقرة : ٢٠٣)

فالحدود التي وضعها الإسلام بين الحرام و الحلال والأحكام التي أمر بها في الأخلاق والاجتماع والمعاملات لا يتوقف تنفيذها على الشرطة أو الجنود و لا على التعليم والتلقين ، وإنما هو ذلك العليم الخبير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض والذي لا يستطيع الإنسان إذا خالف أحكامه أن يستر عليه جريمته أو يسلم من محاسبته بأية حيلة من الحيل . (١)

---

(١) لمزيد من التفصيل حول ثمار الإيمان راجع كتاب " الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها " لأبي الأعلى المودودي ، دار الخلافة للطباعة والنشر ، الباب الثالث الفصل الثالث .